تقدم من ذكره **قوله** حتى تأتيهم متعلقة بلم يكن او بمنفكين
فصل قال الواحدي هذه الاية من اصعب ما في القرآن
نظما وتفسيرا ولم يبين كيفية الاشكال قال ابن الخطيب ووجه
الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا الى ان تأتيهم البينة التي
هي الرسول ثم انه تعالى لم يذكر الشيء المنفك عنه والظاهر ان المراد
لم ينفكوا عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول فانفكوا عن
كفرهم عند اتيان الرسول لكن قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة تقتضي زيادة كفرهم عند مجيء الرسول
عليه الصلوة والسلام فحينئذ يحصل التنافي والجواب من وجوه
احدها وهو احسنها ما لخصه الزمخشري ان الاول حكاية ما كانوا يقولون
من انه صلى الله عليه وسلم الموعود به لا ينفك عما نحن عليه من دينه
والثاني اخبار عن الواقع يعني انهم كانوا يعدون الاتفاق على الحق اذا
جاءهم الرسول عليه الصلوة والسلام والمعنى ان الذي وقع كان خلاف
ما ادعوا وثانيها المعنى لم يكونوا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة
ذكره القاضي الا ان جعل حتى بمعنى من بعيد في اللغة وثالثها المعنى
لم يكونوا منفكين عن ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بالمناقب والفضائل
حتى تأتيهم البينة والمضارع هنا بمعنى الماضي كقوله تعالى واتبعوا ما تتلو
الشياطين اي تلت اي ما كانوا منفكين عن ذكر مناقبه ثم لما جاءهم محمد
تفرقوا ونظيره فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ورابعها ان كانوا متفقين
على الكفر قبل البينة فلما جاءت البينة تفرقوا فيكفي هذه المغايرة
وخامسها هو كقوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين
الاية انه كان كل منهم جازما بمذهبه ودينه فلما بعث محمد صلى الله
عليه وسلم شكوا في اديانهم لان قوله تعالى منفكين مشعر بهذا لان
الانفكاك من الشيء هو الانفصال عنه فمعناه ان قلوبهم ما خلت
عن تلك العقائد وما انفصلت عن الجزم بصحتها ثم بعد المبعث
لم يبق الامر على تلك الحالة **فصل** قال ابن عباس اهل الكتاب
الذين كانوا بيثرب وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون
الذين كانوا بمكة وحولها والمدينة وهم مشركوا قريش وقوله تعالى
اي منتهين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وقيل الانتهاء بلوغ الغاية اي لم يكونوا ليبلغوا نهاية اعمارهم
فيموتوا حتى تأتيهم البينة وقيل منفكين زائلين اي لم يكن مدتهم
لتزول حتى يأتيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب تقول
ما انفككت افعل كذا اي ما زلت وما انفك فلان قائما اي ما زال قائما
واصل الفك الفتح ومنه فك الكتاب وفك الخلخال وقيل منفكين
بارحين اي لم يكونوا ليبرحوا اي يفارقوا الدنيا حتى تأتيهم البينة
وقال ابن كيسان اي لم يكونوا اهل الكتاب تاركين صفة محمد
صلى الله عليه وسلم ويسمونه الامين في كتابهم حتى بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم حسدوه وجحدوه كقوله تعالى فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به ولهذا قال تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة فعلى هذا قوله تعالى والمشركين اي ما كانوا
يقولون في محمد صلى الله عليه وسلم ويسمونه الامين حتى اتاهم
على لسانه وبعث اليهم صلى الله عليه وسلم فحينئذ عادوه وقال
بعض

بعض اللغويين منفكين اي هالكين من قولك انفك عند الولادة وهو
ان ينفصل ما يليهم فتهلك والمعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا
بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب **فصل**
قال قوم المراد بالمشركين من اهل الكتاب فمن اليهود من قال عزير
ابن الله ومن النصارى من قال عيسى هو الله ومنهم من قال هو ابنه
ومنهم من قال هو ثالث ثلاثة كذبوا فيما قالوا عز الله تعالى وان الله
سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ولا ولد له ولا مثل له ولا ضد ولا ند له ولا
شبيه له ولا صاحبة له ولا زوجة له ولا وزير له ولا حاجب له ولا بواب
له وهو سبحانه وتعالى كما قال في كتابه المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم
قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد لانهم
لم ينتفعوا بكتابهم وتركوا التوحيد فالنصارى مثلثة وعامة اليهود
مشبهة والكل شرك وهو كقولك جاءني العقلاء والظرفاء وانت تريد اقواما
بعينهم تصفهم بالامرين قال تعالى الراكعون الساجدون الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وهذا وصف
للطائفة الواحدة فالمعنى على هذا من اهل الكتاب المشركين وقيل اهل الكتاب
كانوا مؤمنين ثم كفروا بعد انبيائهم والمشركون ولدوا على الفطرة
ثم كفروا حين بلغوا فلهذا قال والمشركين وقيل الكفر هنا هو الكفر بالنبي صلى الله
عليه وسلم اي لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
الذين هم اهل الكتاب ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الاوثان
من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين قال القشيري
وفيه بعد لان الظاهر من قوله تعالى حتى تأتيهم البينة رسول من الله
ان هذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فيبعد ان يقال لم يكن الذين
كفروا الان بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين حتى يأتيهم محمد رسول الله
الا ان يقال اراد لم يكن الذين كفروا الان بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقد كانوا من قبل معظمين له منتهين عن هذا الكفر الى ان يبعث الله لهم
محمدا ويبين لهم الايات فحينئذ يؤمن قوم وقرا الاعمش وابراهيم والمشركون
رفعا عطفا على الذين كفروا قال القرطبي والقراءة الاولى ابين لان الرفع
يصير فيه الصنفان كلهم من غير اهل الكتاب وفي حرف ابي فما كان الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين قال ابن الخطيب فان قيل
لم قال الذين كفروا بلفظ الفعل وذكر المشركين باسم الفاعل فالجواب
ان اهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر لانهم كانوا مصدقين
بالتوراة والانجيل وبمبعث محمد صلى الله عليه وسلم بخلاف المشركين فانهم
ولدوا على عبادة الاوثان وذلك يدل على الثبات على الكفر **قوله**
حتى تأتيهم البينة قيل المراد بالبينة محمد صلى الله عليه وسلم لانه في نفسه
بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى سراجا منيرا ولقوله تعالى رسول
من الله وهو رفع على البدل من البينة ولان اللام في البينة للتعريف
اي هو الذي سبق ذكره في التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى وقد
يكون التعريف للتفخيم اذ هو البينة التي لا مزيد عليها والبينة كل البينة
وكذا التنكير وقد جمعهما الله تعالى هنا في قوله الرسول اي هو رسول
واي رسول صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى حين اثنى على نفسه
تعالى سبحانه وتعالى ذو العرش المجيد ثم قال تعالى فعال لما يريد فنكر
بعد التعريف وقال ابو مسلم المراد من البينة مطلق الرسل فقوله تعالى
حتى تأتيهم البينة اي تأتيهم رسل من ملائكة الله تعالى يتلوا عليهم صحفا

King Saud University
Copyright © King Saud University